Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الظن أنه لاقى من هذا الهجوم وهذا الصراع شراً غير يسير كشأن كل داعية إلى شيء جديد ، بل يذكر ابن قتيبة فى مطلع كتابه ( الشعر والشعراء ) أن هذه الدعوة إلى التجديد هى التى دفعته إلى تأليف هذا الكتاب ، حيث يقول ساخراً سخرية مرة من المتشبثين بالقديم لمجرد أنه قديم ( فإنى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه فى مُتَخَيَّره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب فيه إلا أنه قيل فى زمانه ، أو أنه رأى قائله )[٢٠] ثم يشيد بالشعر الجديد بالقياس إلى عصره ، منوها بأعلامه كجرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم ، وينكر على أبى عمرو بن العلاء وهو من أبرز أعلام عصره أن يمجد القديم لمجرد أنه قديم ، وأن يعرض عن الحديث لمجرد أنه حديث ، فيقول (كان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت بروايته )[٢١] .

على أنه من الواضح الشديد الوضوح فى كلام ابن قتيبة أنه لا يطلب من الشعراء المحدثين أن يلتزموا القديم لمجرد أنه قديم ، أو أن يتشبثوا بكل ما سلكه القدماء ، وإنما يطلب من المحدثين أن يلتزموا من منهج القدماء ما يرتضيه النقد الصحيح ، والمنطق السليم ، لأن المحدثين إن خالفوا هذا سيتورطون فيما يرفضه النقد والمنطق ، وضرب ابن قتيبة أمثلة واضحة الدلالة فى أن هذا هو ما يعنيه ، حيث يضرب أمثلة بالبكاء على الأبنية المشيدة العامرة ، والرحلة على حمار أو بغل ، فهل المنكرون على ابن قتيبة يرون أن البكاء على منزل مشيد عامر ، أو وصف رحلة فى صحراء شاسعة عريضة على حمار أمر مقبول ؟ وهل قال ابن قيتبة فى حديثه هذا غير ذلك ؟ بل هل تجاوز ابن قتيبة ما يفعله النقاد المحدثون أنفسهم ؟ من حيث إنهم يجتهدون فى وضع أو تجديد مناهج ومذاهب للأدب شعره ونثره ، ثم يطالبون الأدباء أن يلتزموا حدودها ، ثم يحاسبونهم على تجاوزها حسابا قد يبلغ أحيانا درجة الشطط ، كما فعل أصحاب مدرسة الديوان ( العقاد وشكرى والمازنى ) فى محاسبتهم الشعراء على الوحدة العضوية ، ولكن ابن قتيبة فى قوله هذا لم يخترع مذهبا ، ولم يحدد منهجا ، وإنما طلب من الشاعر المحدث ألا يتردى فيما ترفضه أدنى درجات النقد والذوق ، بل المنطق والإدراك السليم ، كالبكاء على دار ليس فيها ما يدعو إلى الحزن والبكاء ، والرحلة فى بيئة الصحراء على وسيلة لا تصلح للارتحال بها كالبغل والحمار .